الامتلاء من الروح القدس في المسيح يسوع ربنا

بعض ملامح التدبير حسب الإيمان الأرثوذكسي

دكتور

جورج حبيب باوي

٢٠١٥

www.coptology.org

ورد إلى الموقع السؤال الآتي من الأخ مينا حلمي:

في انجيل لوقا ٤:١ يقول الكتاب "ورجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس"، السؤال هنا يا دكتور من فضلك، كيف امتلأ من الروح القدس عند هذه اللحظة، أليس هو الله وروحه من وقت الميلاد، أم أنه لم يكن ممتلئاً من الروح القدس قبل ذلك؟ وعندما بحثت عن تفسير الآية وجدت تفسير القديس كيرلس الكبير يقول: (فلم يكن بمستغربٍ إذن أن يكون بِكْرنا أول من يتسلَّم الروح القدس، مع أنه هو مانح الروح القدس حتى يهبه لنا نحن إخوته الأعزَّاء. وأشار إلى ذلك بولس الرسول بالقول: "لأن المقدَّس والمقدَّسين جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة قائلًا: "أُخبر باسمك إخوتي" (عب٢: ١٢).) ولكن عندي تعليق على هذه النقطة أنه مكتوب أن يوحنا المعمدان امتلأ من الروح القدس من بطن أمه، وهذا هي أول مرة يرد ذكر الامتلاء من الروح القدس، وكان هذا قبل ميلاد المسيح، إذن كيف يكون هو باكورة البشرية في الامتلاء. وأنا أعلم أن معظم التفاسير والشروح تتحدث عن نقطة أن الناسوت هو من امتلأ بالروح، لكن أنا عندي صعوبة في فهم هذه النقطة بما أن المسيح هو روح الله ساكن فيه، ونحن نقول إن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.

آسف للإطالة، ولكن أريد إجابة مقنعة. شكرا.

الأخ الفاضل مينا حلمي

سلام ومحبة لشخصك الكريم ،،،

هذه إجابة على أكثر من سؤال. ولا داع بالمرة للأسف يا أخي مينا؛ لأن شرح الإيمان، والمشاركة في الشرح، هي تعزية أبدية لي ولك وللأخوة والأخوات القراء.

أولاً: الرب يسوع المسيح هو الابن المتجسد، وهو طبعاً روح؛ لأن "الله روح" حسب عبارة الرب نفسه. وكلمة "روح" كلمة عامة، خاصة بالثالوث الآب والابن والروح القدس، ولكنها تُستخدَم بشكل خاص، وباسم خاص، هو "الروح القدس"، أو "روح الآب"، وأحياناً "روح يسوع" في إشارة إلى الروح القدس.

ثانياً: لدينا أساس لاهوتي ثابت في الأرثوذكسية، وهو التدبير، أي خطة الله لخلاص الإنسانية، بل والكون كله. والتدبير يا سيدي الكريم -بكل أسف- موضوعٌ لم يُدرَس بكفاية فيما نشر عندنا باللغة العربية، ما عدا مقالات متفرقة للأب متى المسكين تجدها تحت هذه العناوين: البكر – العريس وغيرها. وهذه المقالات لا يقرأها إلَّا الأحرار الذين تحرروا من الخوف، ومن الدعاية الشيطانية السامة التي أُطلِقَت على الأب متى المسكين طوال ٤٠ عاماً.

أساسات التدبير:

أولاً: وحدة جوهر الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس. ثالوث واحد في وحدانية الجوهر، وتمايز الأقانيم الذي يؤكِّد لنا أن الآب غير الابن، والابن غير الروح القدس. وعلى أساس هذا التمايز استُعلِنَت خطة الخلاص أو التدبير في الزمان، وفي التاريخ، وفي حياة الكنيسة أيضاً.

ثانياً: ما استُعلِن في الزمان في التدبير، أساسه ومصدره هو الحياة الإلهية الواحدة للثالوث القدوس غير القابل للانقسام؛ لأن الانقسامَ خاصية من خواص الخطية والموت،

والله لا يخضع لأيهما، فحتى والابن على الصليب، وقد "ذاق الموت بالجسد"، إلَّا أنه لا زال "القدوس الذي لا يموت".

ثالثاً: إخلاء الابن لذاته الإلهية، وهو موضوع شَرَحَه الأب متى المسكين بشكل موجز في تفسير رسالة فيلبي وفي مواضع كثيرة، ونال أكبر اهتمام من آباء الإسكندرية العظام: أوريجينوس – اثناسيوس الرسولي – كيرلس الكبير.

لكن ماذا يعني إخلاء الابن لذاته؟

١– قبول طبيعة محدودة هي الإنسانية، أو الناسوت حسبما ساد عندنا (الناسوت كلمة سريانية الأصل). والله وحده هو القادر على أن يأخذ ويتحد بطبيعة أخرى غير طبيعته؛ لأن الاتحاد بطبيعة أخرى غير ممكن لأي مخلوق، وحتى الذين يقعون تحت عبودية الأرواح النجسة، يكونون فقط تحت سيطرة القوة الشريرة، أمَّا الاتحاد بين شيطانٍ وبشر، فهو مستحيل –حسب إيماننا– لأن هذا الاتحاد يعني أن للشيطان **قوة خالقة** تجعله قادراً على أن يقبل طبيعة أخرى ليست هي طبيعته، ويتَّحد بها ويجعلها من كيانه. لذلك، عندما نقول إن الرب الابن له المجد "أخلى ذاته"، فهذا عمل إلهي لا يقدر عليه مخلوق من المخلوقات.

٢– أخذ الابن الطبيعة الإنسانية "القابلة للموت" حسبما سلَّمنا معلمنا القديس أثناسيوس الرسولي، وسجَّل هذا في كتاب تجسُّد الكلمة، لا سيما في الفصول (٣ – ١٦)، طبيعة عارية قابلة **للفناء** لأنها جاءت من العدم. **والفناء ليس العدم**، بل هو انحلال الوجود الإنساني وعودته إلى التراب، فلا يبقى الإنسان إنساناً.

٣– لم يكن الابن محتاجاً لذلك، ولكن أحد مفاتيح التدبير هو عبارة قانون الإيمان التي وردت أكثر من مرة في العهد الجديد: "لأجلنا نحن البشر". وأرجو مراجعة المقالة الثالثة في الرد على الأريوسيين للقديس أثناسيوس ودراستها كلها، وأيضاً مراجعة عبارات القداس الغريغوري الذي يقدِّم لنا تجليات التدبير: "من أجلي"، والتي تشرح تجسُّد وموت الرب وقيامته، وهي القوة الإلهية التي تستعلن في الإفخارستيا:

– "من أجل تعطفاتك الجزيلة (التي لا توصف).

– من أجلي ألجمت البحر.

- أنت الذي أرسلت لي الأنبياء من أجلي أنا المريض.
- لأجلي يا سيدي لم ترد وجهك عن خزي البصاق.

وبين السطور أو العبارات السابقة تجد كل استعلانات التدبير، ولهذا السبب كان التسليم الكنسي القديم عندنا هو أن نصلِّي القداس الغريغوري طوال الخماسين؛ لأنه استعلان كمال التدبير. أظن –وأرجو أن أكون مخطئاً– أن هذا غائب عن وعي الجيل المعاصر لنا.

آدم الأخير أو آدم الثاني في (١كو ١٥: ٤٥ – ٥٠):

أخذ هذا الموضوع، وهو أحد أساسات التدبير، فصولاً كاملة في رسائل القديس بولس لعل أهمها هو (رو ٥: ١٢ – ٢١)، وهو عن المقارنات بين الإنسان الأول – الخطية والموت، ثم آدم وهو مثال الآتي، أي ربنا يسوع لكي يصل بعد ذلك إلى مقارنات أخرى أكبر في (١كو ١٥)، وهو يسلِّمنا تاريخ الخلاص في عبارة واحدة:

- إذ بالموت بإنسان
- بإنسان أيضاً قيامة الأموات.
- كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع (١كو ١٥: ٢١–٢٢).

وقد شرح القديس ايريناوس هذا الموضوع في أهم مراجع الجيل الثاني المسيحي، وهو كتابه ضد الهرطقات[١] والمقارنات هنا ذات دلالة عند ايريناوس.

- الإنسان الأول من تراب الأرض / الإنسان الثاني من الله، وُلِدَ من رحم العذراء (٣: ١٩ – ١).
- الإنسان الأول فَقَدَ صورة الله ومثاله / الصورة والمثال جُدِّدا ورُدَّا إلينا في المسيح (٣: ٣١ – ١).

بل قارَن ايريناوس بين حواء، والعذراء القديسة مريم، حيث يقول: "عُقدة

---

(١) ترجم الدكتور نصحي عبد الشهيد الكتابين الأول والثاني، من هذا الكتاب، ونشره المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية تحت رقم ١٧٨ سلسلة نصوص آبائية، ٢٠١٣.

المعصية لحواء حلَّتها بالطاعة مريم" (٣: ٣١ – ١).

وكان حتماً أن يعود موضوع آدم الأخير بقوةٍ وزخمٍ أكثر في سنوات الصراع ضد الأريوسية[١]. ويتلخص جوهر الأريوسية في إنكار وحدة جوهر الثالوث – إنكار إخلاء الابن لذاته – جَمع كل كلمات الوحي المقدس الخاصة بالإنسان يسوع المسيح واعتبارها خاصة بلاهوته لكي يتمكن الأريوسيون من تأكيد أن يسوع هو إنسان مخلوق لا وجود أزلياً له؛ لأنه ليس من ذات جوهر الآب.

لكي يحيا الابن له المجد حياةً إنسانيةً كاملةً، أخذ ما حدده الرسول بولس في عبارة جازمة: "افتقر وهو غني"، أي أخلى ذاته (فيلبي ٢: ٦)، لكن بقية العبارة ذات مغزى عميق جداً؛ لأنه يقول:

- إنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع
- إنه من أجلكم افتقر وهو غني
- لكي تصيروا أنتم أغنياء بفقره (٢كور ٨: ٩).

هكذا جاءت النعمة التي نتحدث عنها، وهي في التعليم المعاصر عند كثيرين هي مجرد **فكرة عقلية** تقال، بينما افتقار الابن –لكي تصل إلينا النعمة– في حقيقته يعني أن يبدأ بالإنسانية الميِّتة، أي الإنسانية كلها، **فيخلق إنساناً جديداً**؛ لأن الخلق الجديد هو تحوُّل ما هو مائت إلى حياة. وقد شُرِحَ هذا بشكل واضح في صلوات المعمودية لأم الشهداء.

لكن يجب أن نسجِّل هنا مراحل تحوُّل الإنسانية في الابن المتجسد؛ لأنه **تحوُّلٌ في كيان، وليس مجرد تغيير أفكار**.

أولاً: اتحاد اللاهوت بالناسوت لا يعني تحول الناسوت بسبب الاتحاد؛ لأن هذا ينفي تماماً هدف التدبير. ولو كنت أملك أن أحفر كلمات على حجر لتكون شاهداً للكل، لحفرت الآتي:

لقد اتَّحد بنا نحن الموتى عندما تجسَّد، وسمح لإنسانيته أن تنمو حسب خواص وطبيعة ما هو إنساني، ما عدا الخطية.

---

(١) أعتقد أن الأريوسية لم تُدرس بعناية عندنا، وهي كامنة في عقول وتعليم بعض الإكليروس.

(راجع معلمنا العظيم حقاً، وثالث عشر الرسل حقاً، أثناسيوس في الرد على الأريوسيين مقالة ٣ فقرات ٥٢ — ٥٣). فقد ضاعت هذه الحقيقة من الوعي لسبب واحد، وهو أننا لم نكن ندرس حتى أثناسيوس نفسه في الإكليريكية، إلَّا في مذكرة موجزة عن الأريوسية لأستاذنا العظيم د. وهيب عطا الله.

ونضع هنا أمام القارئ عبارة هامة للقديس أثناسيوس في فقرة ٥٢: "تقدَّم الجسد، وبتقدُّم ونمو الجسد، نما أيضاً استعلان اللاهوت لكل من كان يراه. ولأن اللاهوت كان يُستعلَن في استعلان ينمو، كانت نعمة (يسوع) كإنسان تنمو أيضاً للكل؛ لأنه كإنسان، حُمل طفلاً إلى الهيكل (أي جسده)، وظل في الهيكل كطفلٍ يافعٍ في الهيكل يسأل الكهنة عن الشريعة. كان جسده ينمو تدريجياً، وكان استعلان الكلمة ينمو أيضاً فيه" (راجع أيضاً فقرة ٥٣).

وفي عبارة موجزة في فقرة ٥٤ "كان جسده ينمو، ولذلك قيل إنه هو كان ينمو لأن الجسد (الذي أخذه) هو جسده الخاص".

وفي الفقرة ٥٦ يقول: "كان يتوسل لكي يعبر عنه الكأس (في جثيماني)، ولكن لم يكن رعب الموت خاصاً بلاهوته".

مفتاح هذه العبارات وغيرها، هو أن الرب قَبِلَ كل ضعفات الجسد من موت وخوف وعطش وجوع .. الخ. لكي يبيد كل هذه الضعفات من الناسوت، وهو ما شُرح بشكل أوفر في الفقرة ٥٧.

معمودية يسوع والامتلاء من الروح القدس:

سبق أن نشرنا دراستين عن معمودية ربنا يسوع[١]، ولكن السؤال الذي يلح على الأخ مينا هو امتلاء يسوع من الروح القدس حسب شهادة إنجيل القديس لوقا (٤: ١).

بعد أن سجَّل الإنجيلي معمودية الرب في (٣: ٢١)، بدأ في تقديم صراع ابن

---

(١) الأولى بعنوان: لماذا اعتمد يسوع؟ دراسة عند الأبوين أثناسيوس الرسولي وكيرلس عمود الدين. والثانية بعنوان المعمودية في القرون الخمسة الأولى. والدراستان تجدهما منشورتين على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

الإنسان الجديد، أو آدم الثاني مع الشيطان في (٤: ١): "أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يُقتاد بالروح في البرية". سبق النبي اشعياء وأخبر عن مسحة يسوع بالروح القدس (أش ١١: ٢٢ – ٦١: ١). مسحة يسوع جعلته المسيح، والإنسانية فيه، أي في يسوع، مُسِحَت بالروح القدس، وهذا هو أهم ما يُعطى لنا في التدبير.

لاحظ –عزيزي القارئ– لغة وطريقة شرح أثناسيوس العظيم: كيف قُدِّس يسوع بالروح القدس مع أنه هو قدوس؟ والجواب هو: "لقد قيل إنه تقدَّس لأنه الآن قد صار إنساناً، والجسد الذي تقدَّس هو جسده .. وعندما قيل عنه الآن إنه مُسح إنسانياً كنَّا **نحن الذين مُسحنا فيه**، ولأنه اعتمد، فنحن الذي اعتمدنا فيه" (ضد الأريوسيين ١: ٤٧).

أولاً: حسب التدبير يوجد مجالين *Scopes* وأُسلوبين في الشهادة لتجسد الرب في الأسفار المقدسة، ولذلك نجد شهادتين مختلفتين، أو ثنائية في الأسفار عن المخلص. الأولى: أنه هو دائماً وأزلياً الله والابن؛ لأنه الكلمة وشعاع جوهر الآب وحكمة الآب، ولكن بعد ذلك –وهذا هو المجال الثاني– ولأجلنا نحن أخذ جسداً من العذراء مريم والدة الإله وصار إنساناً. وفي هذا المجال *Scope* نجد الاهتمام الخاص به في كل الأسفار الموحى بها" (ضد الأريوسيين ٣: ٢٩، عن الأصل اليوناني مجلد ٢٦: ٣٨٥ A).

هكذا يجب أن تزول حيرة كل قارئ، لأن الاستعلان الأول هو أزلية الابن، والاستعلان الثاني هو تجسُّد وتأنس الابن. ولكن هنا يجب أن نتوقف أمام أحد حقائق التدبير، وهي ماذا حدث للناسوت أو لإنسانيتنا نحن، لأننا عندما نعلِّم بالتجسُّد، فنحن نعلِّم بالتحول العظيم والأخير في الكيان الإنساني.

ثانياً: حسب التدبير كانت الإنسانية، وليس الابن المتجسد، هي التي تحتاج إلى المسحة. لم يكن لدى المتجسد أيُّ احتياجٍ، ولكنه نزل إلى "فقرنا"، افتقر وهو الغني كما ذكر الرسول بولس. أخذ الإنسانية المحتاجة إلى المسحة.

حتماً هو الابن المتجسد، وهو متمايِزٌ عن الروح القدس. وعلاقة الإنسانية بالروح القدس لم تكن علاقة كاملة. كان الروح القدس يعمل في الملوك والأنبياء فقط،

فقد فارق روحُ الربِّ الإنسانية بعد السقوط.

هكذا يشرح القديس كيرلس الإيمان الأرثوذكسي:

"الإنسان الأول المخلوق من التراب قد سقط في فخٍّ مرير، وهو العصيان، فعاد إلى التراب، الأم التي منها أُخذ، ولأنه سقط في الفساد والموت، نقل الحُكمَ إلى كل الجنس البشري ... الإنسان الأول آدم لم يحفظ النعمة التي أُعطيت له من الله الآب، لذلك أراد الله الآب أن يرسل من السماء آدم الثاني الذي أرسله الآب في شكلنا البشري، فظلَّ الابنُ بالطبيعة، دون تغيُّرٍ أو تحوُّلٍ؛ لأنه لم يعرف الخطية. وكما أنه بمعصية الإنسان الأول كنا تحت الغضب الإلهي، هكذا بطاعة الإنسان الثاني تحررنا من اللعنة والشر اللذين أصابا الجنس البشري" (شرح إنجيل يوحنا *Pusey* ١: ١٨٣-١٨٤).

وبعد ذلك يقول نفس المعلم السكندري: "فارق الروح القدس الإنسانيةَ؛ لأنه لا يحتمل أن يسكن في الفساد" (المرجع السابق ١: ١٨٤).

لكن الآن:

"ظَهَرَ إنسانٌ آخر، ومَنَحَ عودة الروح؛ لأن هذا الإنسان بلا خطية" (المرجع السابق ١: ١٨٤).

وعندما شرح القديس كيرلس نص يوحنا (٧: ٣٩)، فقد أعاد نفس الشرح السابق، ولكنه أكَّد على مبدأين أساسيين في التدبير:

المبدأ الأول: هو أن يأتي إنسانٌ ثابتٌ بلا تحوُّلٍ ولا تغيير، بل صالح.

المبدأ الثاني: أن يقبل هذا الإنسان الروح القدس لكي يعود الروح القدس للإنسانية:

"في المسيح بدأ الله يعطي من جديد الروح، ونال المسيحُ الروحَ؛ لأنه باكورة الطبيعة الجديدة" (شرح يوحنا ٧: ٣٩ مجلد ١١: ٦٩١-٦٩٢).

هكذا بدأ تجديد الإنسانية بتجديد إنسانية يسوع نفسه بواسطة الاتحاد بالإنسانية، وبواسطة الآب والروح القدس.

ويكرر القديس كيرلس نفس الكلام:

"نال المسيح الروح لكي ننال خيرات الروح منه نحن .. كلمة الله صار إنساناً

وأخذ الروح القدس كإنسان؛ لكي يحفظ ثبات العطية الصالحة لنا نحن البشر" (المرجع السابق ٦٩٢).

ماذا حدث لنا بسبب آدم الثاني ربنا يسوع المسيح؟

أولاً: وحسب شرح القديس كيرلس السكندري، "كان خلقُ الإنسان الأول هو من العدم ... أمَّا الإنسان الثاني المسيح، فقد نالت الإنسانية بدايةً جديدةً، وجُدِّدَت لحياةٍ جديدةٍ، وعادت إلى عدم الفساد؛ لأنه إن كان أحد في المسيح فهو خلقة جديدة -كما قال بولس- (٢كو ٥: ١٧)، وفيه نلنا نحن قبول تجديد الروح القدس المانح لنا الحياة الأبدية بعد أن مُجِّد المسيح بالقيامة، عندما حلَّ قيود الموت واستُعلِن أسمى وأعظم من كل أنواع الفساد" (المرجع السابق ١: ١٩٢-١٩٤).

ثانياً: لأن الرب هو باكورة الخلقة الجديدة، فما هي العلاقة بين الباكورة يسوع والجنس البشري؟ والجواب هو للقديس كيرلس السكندري الذي يقدِّم لنا مثلاً:

"كما أن أي نبات لا ينمو فوق تراب الأرض إلَّا إذا كان لهذا النبات جذره *root* الخاص به، هكذا لم يكن مستحيلاً علينا نحن الذين صار لنا جذرٌ جديدٌ خاصٌّ بنا هو الرب يسوع المسيح، أن لا ننمو من هذا الجذر .. وبنزول الروح القدس بدأ زمان التجديد كما لو كان منتظِراً على الأبواب .. لأن الروح الذي فارق الطبيعة الإنسانية قد عاد إلينا بفضل الذي جَمَعَنَا فيه وخَلَقَنَا حسب الصورة الإلهية، وهو المخلِّص الذي أعطانا الروح من جديد، وأعادنا إلى وضعنا القديم مجدِّداً إيانا إلى صورته".

ثالثاً: "من مئله نحن جميعاً أخذنا" (يوحنا ١: ١٦). من العبارات اللاهوتية التي صارت قانوناً في كل فروع علم اللاهوت، عبارة للقديس غريغوريوس النزينزي كتبها ضد أبوليناريوس الذي أنكر أن للرب يسوع روحاً ونفساً إنسانية، وهي ملخص الرسالة ١٠١ إلى القدس كلودينوس يشرح فيها تدبير الخلاص:

What has not been assumed has not been healed. It is what is united to his divinity that is saved.

"ما لم يأخذه (الابن عندما تجسَّد) لم ينَل الشفاء، وما اتحد به بلاهوته، فقد

نال الخلاص".

إذن، من ملء المسيح أخذنا نعمة فوق نعمة. فما هي هذه النعم؟

١– أخذنا ميلاداً جديداً. فقد ولد خالق الكل من والدة الإله لكي يحول أصلنا إلى كيانه حتى لا نعود نحن البشر الذي خُلقنا من التراب إلى التراب؛ لأننا التصقنا *knit* بالكلمة الذي من السماء، ونُحمل إلى السماء بواسطته" (ضد الأريوسيين ١: ٣٣ راجع الرسالة إلى أدلفوس: ٤).

٢– ولما امتلأ من الروح بعد أن مُسِحَ يسوع يقول رسول الرب: "الذي يثبّتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا" (٢ كو ١: ٢١ – ٢٢)، ولذلك يؤكد رسول الرب: "أنتم لكم مسحة من القدوس" (١ يوحنا ٢: ٢٠)، ولذلك صار المسيح هو رأس الجسد الذي منه يعطى الروح القدس والذي به، أي بالرب يسوع، نمتلئ بالروح.

٣– أخذنا القيامة من الأموات وحياةً أبديةً، وهو التسليم الرسولي الذي شُرح في (١ كو ١٥: ٣٥ – ٥٠)، وهو التحول النهائي والأخير:

– الإنسان الأول من الأرض ترابي ..
– الإنسان الثاني الرب من السماء ..
– كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً ..
– وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضاً ..
– وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضاً صورة السماوي.

أمَّا الأهم، فهو عطية الروح القدس؛ لأننا به، أي بالروح ننال في المسيح البنوة (غلا ٤: ٤ – ٦). وميراث الملكوت والقيامة من الأموات (رو ٨: ١١–١٧ و٨: ٢٩–٣٠)، وكل ما يعطى لنا بالابن، يعطي لنا بالروح القدس.

كيف يعطينا الثالوث الحياة الأبدية؟

ولكي لا نترك مجالاً بعد للحيرة لدى أي قارئ، علينا أن نتتبع كيف يعطي لنا الثالوث حياة أبدية وفي الدهر الآتي:

١– الابن المتجسد له المجد هو رأس الجسد الكنيسة الذي منه تولد كل الأعضاء، ليس ولادةً فكريةً روحيةً عقليةً فقط، بل ولادة كيانية (كولوسي ٢: ١٩). ولذلك، نحن المتَّحدين معه في موته ودفنه وقيامته ونلنا هذا الاتحاد في سر المعمودية المقدسة (رو ٦: ١–٨)، لا نجد أقوى من كلمة "اتحاد" أو "التصاق"؛ لأننا بسبب تجسده صرنا "من لحمه وعظامه" (أفسس ٥: ٣٠). هذه الوحدة الكيانية مع الرب، إذ صرنا معه جسداً واحداً وروحاً واحداً كما سُلِّم إلينا في كل القُدَّاسات الأرثوذكسية، تجعل ما للمسيح هو لنا، أو حسب أدق عبارة عن التدبير: "**أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له**". أو حسب شرح القديس أثناسيوس الرسولي حقاً، وثالث عشر الرسل بكل حق لا يزيِّف الكلام، في رسالته إلى أبكتيتوس، وهو يفضح خبث وشر الأريوسيين: "لقد فشلوا في فهم أن اللوغوس عندما صار إنساناً لم يُضِف بتجسده شيئاً إلى جوهر اللاهوت، ولكن بتجسُّده أعطى القيامة. ولم يولد الكلمة حسب ألوهيته من مريم لكي ينمو، وإنما ولد لكي يغذِّي الجنس البشري. فكيف يقدرون على أن يتخيلوا أن الجسد الذي افتُديَ وقام من الموت بالكلمة، قد أضاف شيئاً إلى جوهر اللاهوت، عندما أقامه الكلمة من الموت؟ العكس هو الحق؛ لأن الإضافة الجديدة والعظمى حدثت للجسد نفسه بسبب الشركة والاتحاد بالكلمة. إذ لم يعد ميتاً، بل صار خالداً، ورغم كونه جسداً حياً، إلَّا أنه صار جسداً روحياً، ورغم أنه خُلق من تراب الأرض، إلَّا أنه الآن يدخل أبواب السماء نفسها" (فقرة ١٠).

٢– حسب الطبيعة التي خُلِقنا منها، وهي العدم، نحن لا نملك في ذواتنا أي شيء يؤهِّلنا لأن ننال أي عطية من الثالوث القدوس، ولكن لما جاء الوسيط ورأس الخلقة الجديدة، وملأ كيانه بكل خيرات اللاهوت، صار لنا أن ننال من ملء الكلمة المتجسد الذي أخذ من الآب ومن الروح القدس كل ما يحقق الخلق الجديد والحياة الأبدية. نحن حسب الطبيعة الإنسانية –كما يقول أثناسيوس– "مائتون بالطبيعة ولا قدرة لنا على القيامة" (الرسالة إلى إبكتيتوس فقرة ١٠).

لكن مِن الوسيط نأخذ ما أخذه الوسيط لأجلنا.

٣– إذا لم يكن يسوع قد امتلأ من الروح القدس، فكيف ملأ الروح القدس

تلاميذ الرب؟ وكيف يملأ الروح القدس كل المؤمنين؟ ما هو مؤهِّل أيِّ مؤمنٍ لكي ينال الروح القدس، بدون المسيح؟ حسب ترتيب الكنيسة أم الشهداء، وفي صلاة خضوع للآب بعد القسمة، نصلِّي مع خادم السر: "نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر لكي إذ تطهرنا كلنا تؤلفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية؛ لكي نكون مملؤين من روحك القدوس، وثابتين في إيمانك المستقيم، وممتلئين من شوق محبتك الحقيقية، وننطق بمجدك".

عثرة الجيل المعاصر لنا:

هذه الفقرة لا تخص قارئاً بالذات، بل هي خاصة بما حدث لأم الشهداء طوال ٤٠ عاماً في تيه وحيرة لا تختلف عن تيه وحيرة الشعب في سيناء. هذه بعض الملامح التي تعرفها يا أخي، والتي نراها على صفحات بعض الكتب التي تُنشر في مصر، وتسمعها في عظات تفتقر إلى أبسط حقائق الإيمان المسيحي.

أولاً: عثرة التقسيم إلى أحزابٍ وشيع، وكل حزب وشيعة لها اسم أسقف أو قس أو واعظ. ولا داعٍ لذكر الأسماء، لكن أفظع تقسيم هو جبهة الأنبا شنودة، وجبهة الأب متى المسكين. وللحقيقة، لم يكن الآب متى المسكين هو من خلق التقسيم، بل الذين حاربوه.

ثانياً: الهجوم الحاد القذر على كتابات الآباء والإدعاء بأن هذه الكتابات مزوَّرة أو من تأليف البروتستانت أو الكاثوليك، واتهام كل من يترجِم –بدون أي دليل– بأن ترجمته فيها أخطاء.

ثالثاً: تزييف الأرثوذكسية نفسها، وحصر التعليم في الـ ٤٠ سنة الماضية فقط، أمَّا كل ما سبق من تعليم على مدى عمر أم الشهداء ١٩٠٠ سنة تقريباً هو بلا وجود في وعي وفي كلام المزيفيين.

أمَّا ما هو أخطر من كل هذا:

١– محاولة الالتفاف على العطية الإلهية، أي سكنى الروح القدس فينا، مرةً باسم حروف الجر، ومرةً باسم أداة التعريف ال، ومرات بذكر زعيم الشعية التي يتبعها هذا

وذاك، وغاب ذكر التسليم الكنسي في القدَّاسات وصلوات الخدم الإلهية.

٢– تقديم فتاوى تعتمد على تقطيع جزء من نص، مثل حذف الإشارة إلى الروح القدس، والاكتفاء بذكر القوة، وذلك كما فعل العلَّامة العظيم مطران دمياط المحترم، يذكر القوة في كلمات الرب يسوع (أع ١: ٨)، ولا يذكر بقية كلام الرب: "ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم". وعلى نفس المنهج يسير بعض القساوسة، حيث يذكرون المجد كشيء منفصل عن الله الآب أو الابن، ويقولون: نحن شركاء المجد، ولكن هؤلاء الأريوسيين الجُدد يظنون أن قول الرب: "أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (يوحنا ١٧: ٢٢)، هو خاصٌّ بالرسل فقط، أو أنه مجد مخلوق، كما قال زعيمٌ لهم. وبذلك، أنكروا حتى قيامتنا نحن حسب مجد يسوع المسيح؛ لأننا كما قال رسول الرب: "ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب استطاعته أن يخضع كل شيء لنفسه" (فيلبي ٣: ٢٠ – ٢١)، فقد صار مجد الابن نفسه غريباً عن ألوهية الآب والروح القدس.

فهم يحاربون بكل مكرٍ وخبثٍ وشَرٍّ شركتنا في الطبيعة الإلهية، وهو ما ظهر فيما جادت به قريحة مطران دمياط، وقدرته على تزييف التعليم من قول بأن

الشركة في الطبيعة الإلهية

ليست هي

شركاء الطبيعة الإلهية (٢بطرس ١: ٣).

وكأنه توجد أنواع ودرجات من الشركة، كما توجد أنواع ودرجات من الخلود، خلود مخلوق ليس خلوداً إلهياً – وحياة أبدية مخلوقة، وليست إلهية، بل وبنوة الإنسان لله الآب صارت هي أيضاً مخلوقة.

فكيف صار المخلوق خالداً؟

وكيف صارت الحياة الأبدية مخلوقة؟

وكيف يشترك الإنسان في حياة الثالوث بشكل شرفي مثل الانتماء إلى النادي الأهلي أو الزمالك؟

هذه عثرةٌ جيل من الإكليروس يحارب الله، ويحارب النعمة، ويتجاسر على القول

بأنه يدافع عن الأرثوذكسية.

وأنت يا أخ مينا تحيا مع هذا الجيل، ولكن لك:

- صخر الدهور يسوع الذي أعطاك حياته
- السكنى الأبدية للثالوث القدوس.
- أنت هيكل الله، ولا توجد قوة على الأرض تستطيع أن تنزع هذه العطية منك أو من غيرك.

ولكن ثق أن الرب سوف يقيم أساقفةً وقساوسةً وشمامسةً وشعباً أرثوذكسياً يحيا قبل أن يتكلم، ويتحول إلى الحياة الحقة قبل أن يشهد.

د. جورج حبيب بباوي